من مذكرات مسافر إلى الهند

١ — ثمانيـــة أيام فى السفر

الخميس : أيقظتنى والدتى قبل الفجر ، فنهضت من نومى مبكراً لأول مرة فى حياتى ، وبعد مساعدتى فى لبس ملابسى ذهبت توآ إلى السيارة ، وبعد أن لحق بى قريبى أعادنى إلى والدتى طالباً منى أن أسلم عليها ، فذهبت قائلا لها : « مع السلامة » من بعيد ، ثم كررت راجعاً !

لشد ما استنكرت فعلتى ، حقاً إنها طريقة تربيتى ، إذ لم أفكر قط فى تقبيل والدتى ولم تعودنى هى حتى فى حياتى العادية هذه الطريقة .

وصلت ظهر اليوم إلى البصرة بعد سفر دام ثمانى ساعات ، لشدما تقت إلى النزول من السيارة والجرى وراءها ! لما أشعر به من تعب . .

أحسن ما أعجبنى هذا اليوم أننى رأيت ذئبين صغيرين قرب « المطلاع » ، وكذلك رؤيتى لبعض النساء سافرات فى البصرة ، وكثرة الماء العذب المتدفق من حنفياتها .

الجمعة : قضيت هذا اليوم فى البصرة لأستريح من عناء السيارة ، وقد زال عجبى من كثرة وجود الماء عندهم حينما رأيت الأنهار والجداول فى بعض الشوارع . ذهبت ظهراً للصلاة فى مسجد فخم كبير ، وقد راعنى قلة المصلين كأنهم فى أى مسجد عادى عندنا فى غير وقت الجمعة .

السبت : سنسافر عصر هذا اليوم بالباخرة من ميناء المعقل ، وقد طلب منى قريبى أن أراقب متاعنا ، وذهب ليحضر الجزء الآخر منه . وجدت المحل مكتظاً بالهنود ولم أسمع هذه اللغة قبل ذلك ، وأخذت أقول : « من يدرى ربما كان كلامهم موجهاً إلى شخصى الضعيف وكله شتائم ! » أنا فى أكبر مسئولية تحملتها فى حياتى إذ لو تقدم هؤلاء السمر القصار وأخذ بعض متاعنا لما استطعت حراكا ، بل ربما ساعدته خوفا منه !

تحركت الباخرة ، وقضيت معظم الوقت فى التطلع إلى النخل الممتد إلى مالانهاية ، إلى أن أظلم الوقت ، وكنت أعجب أن الماء تحت الباخرة عذب فرات . وفى الليل جلست وبعض الأصدقاء — أصدقاء قريبى — وعلى قرب منا بنات يلعبن «الكوت» والحقيقة أنهن يختلفن عن الهنديات لوناً وجسما . وبعد أن سألت عن جنسيتهن أخبرونى أنهن فارسيات ومن سكان الهند . وقد طلبن أحدنا ليكلمهن ليصبحن ستاً فاعتذرت خوفا منهن !

الأحد : لأول مرة أعلم أننا نفطر فى الساعة الثامنة ونتغدى فى الواحدة ، وقد زال عجبى عندما أخبرونى بهذا النظام الجديد الذى يجعل الظهر مغرباً !

أمضيت معظم الوقت فى التطلع إلى هذه الجبال الشاهقة متمنياً لو وجد عندنا أحدها فنتمتع بالتسلق ؛ تلك هى جبال إيران .

الاثنين : لا شىء جديد غير أن الذين معى يشكون السهر طول الليل ، ذلك بأن الباخرة توقفت بعد العشاء فى ميناء « أبو شهر » وظلت طول الليل تنزل حمولتها وقد أقض صوت الآلات مضاجعهم .

لقد ازدادت شجاعتى ، فأصبحت أتمشى طليقاً فى الباخرة ، حتى عرفت طرقها وممراتها ، بعد أن كنت لا أذهب إلى أى محل إلا بصحبة أحد من المسافرين معى .

الثلاثاء : استعد البحـــارة والقبطان للتمرين على إنقاذ السفينة وقت الغرق ، وقد رابنى عملهم حتى ظننت أن بعض المسافرين قد سقطوا فى اليم ، وقد أفهمنى أحد الذين يمازحوننى أن السفينة غارقة حقاً مما جعلنى أشعر أن وجهى قد اصفر خوفا ، وما هى إلا لحظات حتى أجبته أننى لست مبالياً ما دمتم ستغرقون معى !

الأربعاء : فى عصر هذا اليوم حدث شىء جديد فى نوعه ، اختلف المسافرون حول القبلة فأحضر أحدهم ورقة مخططة ، عرفت فيما بعد أنها خارطة ، وبوصلة صغيرة ، وبعد لحظة أخبرهم بالاتجاه الصحيح ، فدار بخاطرى سؤال : ماذا يحدث لو دارت السفينة والإنسان يصلى ؟

أنا فى حالة خوف طول المساء لأننا نقترب من جبلين